﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥﴾ [يونس: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بـعـدَ إقـرارِ الـرُّبـوبـيَّـةِ سـردَ أدلّتَها العقليَّةَ

لَمّا قَرَّرَ الله تعالى ربوبيَّتَه وإلهيَّتَه؛ ذكَرَ الأدلَّةَ العقليَّةَ الأفقيَّةَ الدّالَّةَ على ذلك، وعلى كمالِه في أسمائِه وصِفاتِه؛ مِنَ الشَّمس والقَمَرِ، والسَّماواتِ والأرضِ، وجميعِ ما خلَقَ فيهما مِن سائرِ أصنافِ المَخلوقاتِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: أصْلُ القدرِ والتَّقْديرِ: تَبْيينُ كمّيَّةِ الشَّيءِ، يُقالُ: قَدَرْتُهُ وقَدَّرْتُهُ، وقَدَّرَهُ بالتَّشديدِ: أعطاهُ القُدْرَةَ، وقَدَرَ الشَّيءَ، أي: دَبَّرَهُ، وكُلُّ ما يُدَبِّرُهُ اللهُ ويَحكُمُ به مِن الأُمورِ فهو قَدَرٌ[2]، والقَدَرُ: القَضاءُ والحُكْمُ، يُقالُ: قَدَرَ اللهُ الأمرَ، يَقْدُرُهُ، قدرًا، أي: قَضَى به وحكَمَ[3]. والمقصودُ بالتَّقْديرِ في الآية: جعلُ الأشياء على مقاديرَ مخصوصةٍ[4].

2) ﴿مَنَازِلَ﴾: أصلُ (نَزَلَ): تَدُلُّ على هُبوطِ شَيْءٍ ووُقوعِهِ. يُقالُ: نَزَلَ عَنْ دابَّتِهِ نُزولًا، ونَزَلَ المَطَرُ مِنَ السَّماءِ نُزولًا. ومَكانٌ نَزِلٌ: يُنْزَلُ فيه كثيرًا، ووَجَدْتُ القَومَ على نَزَلاتِهِم، أي: مَنازِلِهِم[5]، والمنازِلُ: جَمعُ مَنْزِلٍ، وهي أماكنُ النُّزولِ[6]، والنُّزُلُ: ما يُهَيَّأُ لِلنَّزيلِ،

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 358، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/207، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/14.
(2) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(3) الخليل، العين: (قدر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/94، والزُّحيليّ، التّفسير المنير: 11/109.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نزل).
(6) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/26.

ويُعَبِّرونَ عن الحَجِّ بالنُّزولِ، ونَزَلَ، إذا حَجَّ. والتَّنْزيلُ: تَرتيبُ الشَّيءِ ووَضعُهُ مَنْزِلَهُ. والمقصودُ بالمنازل في الآية: أماكِنُ النُّزول، والمرادُ بها هنا المواقِعُ الَّتي يَظهَرُ القَمَرُ في جهتِها كُلَّ ليلةٍ مِنَ الشَّهرِ، وهي ثمانٌ وعِشرونَ منزلةً على عددِ ليالي الشَّهرِ القَمَريِّ[1].

3) ﴿وَٱلۡحِسَابَۚ﴾: أصلُ الحِسابِ: العَدُّ والإحْصاءُ، مَصْدَر الفِعْلِ حَسَبَ، يُقال: حَسَبَ الشَّيءَ، يَحْسُبُهُ، حَسْبًا وحُسْبانًا وحِسابًا وحِسْبَةً وحِسابَةً، أي: عَدَّهُ[2]، والحَسَبُ: العدَدُ المَعْدودُ. والحَسَبُ والحُسْبُ: قدرُ الشَّيْءِ[3]، ويأتي الحِسابُ بمعنى المُناقَشَةِ، فيُقال: حاسَبَهُ مُحاسَبَةً، وحِسابًا: إذا ناقَشَهُ الحِسابَ وجازاهُ[4]. والمقصودُ بالحِساب في الآية: مصدَرُ حَسَبَ بمعنى عَدَّ، والمُرادُ به حِسابُ الأيّامِ والأشهُرِ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أدلَّـةُ قُـدرَة الله وعَظَمةِ صِفاتِه، والـحـكـمـةُ في خـلْـقِ الشَّمسِ والقمرِ وتقديرِ منازلِهما

يُخبر الحقُّ تعالى أنَّه هو الَّذي صيَّرَ الشَّمسَ مُضيئةً في النَّهارِ، وصيَّرَ القَمَرَ مُنيرًا في اللَّيلِ، وقدَّر وقضى مَسيرَ القَمَرِ في منازِلَ، يَنْزِلُ في كلِّ يوم وليلةٍ مَنزِلًا منها في مسافةٍ يقطعُها، وهيَّأ ذلك في كلِّ شَهرٍ؛ لِتَعرِفوا - أيُّها النّاسُ - عدَدَ السَّنواتِ، وتَعرِفوا حسابَ اللَّيالي والشُّهورِ، فتَنتَفِعوا بذلك في أمورِ دينِكم ودُنياكم، لم يخلُقِ اللّه الشَّمسَ ولا القَمَرَ ومَنازِلَه، إلّا لحكمةٍ عظيمةٍ تدلُّ على وَحدانيَّتِه وعظمةِ صِفاتِه، فلم يخلُقْ ذلك عَبَثًا وباطِلًا، يُبيِّنُ اللّه الحُجَجَ والأدلَّةَ الباهرةَ لقومٍ يَعلَمونَ - إذا تدبَّروها - وَحدانيَّةَ اللّه تعالى وقُدرَتَه، وآثارَ إحسانِه، ويستدِلّونَ بها على شُؤونِ مُبدِعِها سُبحانه وصِفاتِه[6].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسب).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (حسب).
(4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: 1/171.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/96.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 12/119، والواحديّ، التَّفسير البسيط: 11/126، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/106، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/310، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/248.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الفصْلِ بالاستئنافِ الابتدائيِّ:

يَحدُّ الجُملةَ اسْتِئْنافٌ ابْتِدائيٌّ، فضَميرُ (هو) عائدٌ إلى اسْمِ الجلالَةِ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [يونس: 3]. وهذا اسْتِدْلالٌ آخَرُ على انْفِرادِهِ تعالى بالتَّصَرُّفِ في المَخْلوقاتِ، وهذا لَوْنٌ آخَرُ مِنَ الاسْتِدْلالِ على الإلَهيَّةِ مَمزوجٌ بالامتِنانِ على المَحْجوجينَ بِهِ؛ لأنَّ الدَّليلَ السابِقَ كان مُتَضَمِّنًا لِعَظيمِ أمرِ الخَلْقِ وسَعَةِ العِلْمِ والقُدْرَةِ بِذِكْرِ أشْياءَ لَيْسَ لِلْمُخاطَبينَ حَظٌّ في التَّمَتُّعِ بها. وهذا الدَّليلُ قد تَضَمَّنَ أشْياءَ يَأْخُذُ المُخاطَبونَ بِحَظٍّ عَظيمٍ مِنَ التَّمَتُّعِ بها، وهو خَلْقُ الشَّمسِ والقَمَرِ على صورَتِهما، وتَقْديرُ تَنَقُّلاتِهما تَقْديرًا مضبوطًا، ألْهَمَ اللهُ البَشَرَ لِلانْتِفاعِ به في شُؤونٍ كثيرَةٍ مِنْ شُؤونِ حَياتِهِم[1].

الاسْتِدلالُ بانْفِرادِهِ تعالى بالتَّصَرُّفِ في الخَلْقِ، ومِنَّتِه عليهم

عِلّةُ إيثارِ الضَّميرِ ﴿هُوَ﴾ مُقدّمًا:

ضَميرُ الغَيْبَةِ الواقِعُ في أوَّلِ الجُملَةِ ﴿هُوَ﴾ عائدٌ إلى اسْمِ الجلالَةِ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ للدَّلالةِ على انْفِرادِهِ تَعالى بالتَّصَرُّفِ في المَخْلوقاتِ، واختصاصِه بذلك، وهذا لَوْنٌ آخرُ مِنَ الاسْتِدْلالِ على الإلَهيَّةِ مَمزوجٌ بالامتِنانِ على المَحْجوجينَ بِهِ[2].

اخْتِصاصُه تعالى بتدبيرِ الخَلْقِ الدّالِّ على رُبوبيّتِه

نُكتةُ التَّعبيرِ بالاسْمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾:

التَّعْبيرُ عنِ الذاتِ العَلِيَّةِ بِطريقِ الموصولِ دونَ الاسْمِ العَلَمِ؛ لِلتَّنْبيهِ على ما تُفيدُهُ صِلَةُ المَوْصولِ مِنَ الإيماءِ[3] إلى أنّ القرآنَ الكريم كلامُ اللهِ، وأنّه صادرٌ عن خالقِ الكونِ بما فيه الشَّمسُ والقمرُ على سبيلِ القطْعِ، بَلْهَ التَّنْبيهِ على الاسْتِدْلالِ على وُجودِهِ تعالى ووَحْدَتِهِ وعِلْمِهِ وقُدْرته وحِكْمَتِهِ بِآثارِ صُنْعِهِ في النَّيِّرَيْنِ

الإيماءُ إلى أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ المُنَزَّلُ منه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/93 - 94.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/93.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/10.

بَعْدَ التَّنْبيهِ على الاسْتِدْلالِ بِما مَرَّ مِن إبْداعِ السَّماواتِ والأرْضِ والاسْتِواءِ على العَرْشِ وغَيْرِ ذلك[1].

تَوجيهُ إيثارِ لفظِ الجَعْلِ دونَ غيرِه:

الجَعْلُ لفظٌ عامٌّ في الأفعالِ يُقدَّر عندَه كلُّ معنى من معاني الصُّنعِ

آثَرَ لفظَ ﴿جَعَلَ﴾ على اعتبارِ مُسمَّى الخلْقِ والإبداعِ، ولكونِه لفظًا عامًّا في الأفعال يُقدَّر عنده كلُّ معنى من معاني الصُّنعِ، وإيجادِ الشَّيءِ من الشَّيء، والتَّبديلِ، والاعتقادِ، والظَّنِّ، والشُّروعِ في الشَّيء.

وحيثما اجتمعَ الخَلْقُ والجَعْل، تقدَّم الأوّلُ على الثّاني؛ لأنَّ الخلق إيجادٌ، والجَعلَ شيءٌ من شيء؛ فهو منَ الخلْقِ، لذلك بدأ بقوله سبحانه ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، وجاء بعدها ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ على تَقْديرِ مُضافٍ: أيْ: جَعَلَ الشَّمسَ ذاتَ ضياءٍ والقَمَرَ ذا نورٍ إلّا أنْ يُحْمَلَ على المُبالَغَةِ، وكأنَّهُما جُعِلا نَفْسَ الضّياءِ والنّورِ؛ على معنى: بعد خلْقِ الشَّمس والقمر، جعلَهما المولى ﷻ ضياءً ونورًا، أو كأنَّهُما جُعِلا نَفْسَ الضِّياءِ والنُّورِ[2].

دَلالةُ الحالَيْن: ﴿ضِيَآءً﴾، و﴿نُورًا﴾:

الإشارةُ إلى حكمةِ اللهِ وإبداعِه فيما خَلَقَ وقدَّرَ

الضِّياءُ، والنّورُ حالانِ مُشيرانِ إلى الحِكْمَةِ، والنِّعْمَةِ في خَلْقِهما[3]، وكلٌّ منهما سِيق لوصْفِ أفعال اللّه، وقُدرَتِه، وحكمتِه فيما خلَقَ وأبدعَ.

سِرُّ نسبة الضِّياء إلى الشَّمس، والنّور إلى القمر:

الضّياءُ المَخْتَصُّ بالشَّمسِ أكملُ وأقوَى منَ النّورِ المُخْتَصِّ بالقمر فناسبتِ الحاجةُ إلى الانتفاعِ بكلٍّ منهما

جَعْلُ الشَّمس ضياءً لانْتِفاعِ الناسِ بِضيائِها في مُشاهَدةِ ما تُهِمُّهُم مُشاهَدتُهُ بِما به قِوامُ أعْمالِ حياتِهم في أوْقاتِ أشْغالِهم. وجَعْلُ القَمَرِ نورًا لِلانْتِفاعِ بنورِهِ انْتِفاعًا مُناسِبًا لِلْحاجَةِ الَّتي قد تُعَرِّضُ إلى طَلَبِ رُؤْيَةِ الأشْياءِ في وقْتِ الظُّلْمَةِ وهو اللَّيْلُ. ولذلك

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/120.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 2/483.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/94.

جُعِلَ نورُه أضْعَفَ ليُنْتَفعَ بِهِ بقدرِ ضَرورَةِ المُنْتَفِعِ، فَمَنْ لم يُضْطَرَّ إلى الانْتِفاعِ به لا يَشْعُرُ بنورِهِ ولا يَصْرِفُهُ ذلك عنْ سُكونِهِ الَّذي جُعِلَ ظَلامُ اللَّيْلِ لِحُصولِهِ، ولَوْ جُعِلَتِ الشَّمسُ دائِمَةَ الظُّهورِ للناسِ لاسْتَوَوْا في اسْتِدامَةِ الانْتِفاعِ بِضيائِها، فَيَشْغَلُهُم ذلك عنِ السُّكونِ الَّذي يَسْتَجْدونَ به ما فَتَرَ مِنْ قواهُمُ العَصَبيَّةِ الَّتي بِها نَشاطُهُم وكمالُ حياتِهِم[1].

وعليه: فقد خُصَّتِ الشَّمسُ بالضِّياء لأنّها أقوَى وأكملُ منَ النّور، وخُصَّ القمرُ بالنّور، لأنّه أضعفُ منَ الضّياء، ولأنَّهما إذا تساويا لم يُعرفِ اللّيلُ منَ النَّهار، فدلَّ ذلك على أنَّ الضّياء المُختَصَّ بالشَّمس أكملُ وأقوَى منَ النّور المُختَصِّ بالقمر[2].

وَجْهُ مُبايَنةِ الضِّياءِ، عنِ النّورِ:

ضياءُ الشَّمسِ نورٌ، ونورُ القَمَرِ لَيْسَ بِضياءٍ

الضِّياءُ: النُّورُ الساطِعُ القَويُّ، لِأَنَّهُ يُضيءُ لِلرائي، وهو اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الضَّوْءِ، وهو النُّورُ الَّذي يوَضِّحُ الأشْياءَ، فالضِّياءُ أقْوَى مِنَ الضَّوْءِ، أمّا النّور فهو الشُّعاعُ، وهو مُشْتَقٌّ مِن اسْمِ النارِ، وهو أعَمُّ مِنَ الضِّياءِ، يَصْدُقُ على الشُّعاعِ الضَّعيفِ والشُّعاعِ القَويِّ، فَضياءُ الشَّمس نورٌ، ونورُ القَمَرِ لَيْسَ بِضياءٍ. هذا هو الأصْلُ في إطْلاقِ هذه الأسْماءِ، ولَكِنْ يَكْثُرُ في كلامِ العَربِ إطْلاقُ بعضِ هذه الكلماتِ في مَوْضِعِ بَعْضٍ آخَرَ بِحَيْثُ يَعْسُرُ انْضِباطُهُ. ولَما جُعِلَ النُّورُ في مُقابَلَةِ الضِّياءِ تَعَيَّنَ أنَّ المُرادَ بِهِ نورٌ ما[3].

التَّعبيرُ عنِ التَّقديرِ بالماضي المُضَعَّفِ:

التَّقديرُ مُستقرٌّ ثابتٌ دونَ تخلُّفٍ

قولُه تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾، أيْ: قَدَّرَ له، يعني: هَيَّأَ له مَنازِلَ لا يُجاوِزُها ولا يَقْصُرُ دونَها[4]، وفي سَوْقِ الماضي والتَّضعيف دَلالةٌ على

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/94.
(2) الجمل، حاشية على الجلالين: 2/334.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/94.
(4) البَغويّ، معالم التّنزيل: 4/121.

الاستقرار والثَّباتِ دون تخلُّفٍ؛ لأنَّ ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌّ، أيْ: تَقْديرًا على حَسَبِ المَنازِلِ، فالنّورُ في كُلِّ مَنزِلَةٍ له قدرٌ غَيْرُ قدرِهِ الَّذي في مَنزِلَةٍ أُخْرى. وإمّا عائِدٌ إلى القَمَرِ عَلى تَقْديرِ مُضافٍ، أيْ: وقَدَّرَ سَيْرَهُ، فَتَكونُ ﴿مَنَازِلَ﴾ مَنصوبةً على الظَّرْفيَّةِ[1].

إيثارُ الضَّميرِ على الاسْمِ الظّاهرِ في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾:

الاكتفاءُ بالضَّمير إيجازًا ولصَلاحِ تعدُّدِ التَّقديرِ فيه

آثر البيانُ القرآنيُّ الضَّميرَ على الاسم الظّاهر؛ للإيجاز ولصلاحية التَّقديرِ المُتعدد. وتَقْديرُ المَنازِلِ يَنْصَرِفُ إليهما غَيْرَ أنَّهُ اكْتَفَى بِذِكْرِ أحَدِهما، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62]. وقيلَ: هو يَنْصَرِفُ إلى القمر بخاصّة؛ لأنَّ بالقمر يُعرفُ انْقِضاءُ الشُّهورِ والسِّنينَ لا بالشَّمس[2].

نكتة حذف الجارّ في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾:

الحذفُ لإضفاءِ معنَى التّهيئةِ والتّيسيرِ

قولُه ﷺ: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، أي: قدّر له، فحذف الجارَّ، والمعنى: هيَّأ ويسّر له منازلَ[3] لا يُجاوِزُها ولا يَقْصُرُ دونَها، ولم يَقُلْ: قَدَّرَهُما ليَنْصَرِفَ إليهما.

وَجْهُ إعادةِ الضّميرِ على النّورِ، أوِ القمرِ دونَ الشَّمسِ:

منازلُ القمرِ تُعلمُ بالفصولِ ويُدركُها كلُّ أحدٍ ببصَرِه

الضَّميرُ المَنْصوبُ في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: إما عائِدٌ إلى النُّورِ فَتَكونُ المَنازِلُ بمعنى المَراتِب، وهي مَراتِبُ نورِ القَمَرِ في القوَّةِ والضَّعْفِ، التابِعَةُ لِما يَظْهَرُ لِلناسِ نَيِّرًا مِنْ كُرَةِ القَمَرِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: 39]، أيْ: حَتَّى نَقُصَ نورُهُ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، فَعادَ كالعُرْجونِ البالي. ويكونُ ﴿مَنَازِلَ﴾ في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ الضَّميرِ المَنْصوبِ في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ فهو ظَرْفٌ مُسْتَقِرٌّ، أيْ تَقْديرًا على حَسَبِ المَنازِلِ، فالنُّورُ في كُلِّ مَنْزِلَةٍ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/410.
(3) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 2/539.

له قدرٌ غَيْرُ قدرِهِ الَّذي في مَنْزِلَةٍ أُخْرَى. وإما أن يكون الضَّميرُ المَنْصوبُ في ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ عائِدًا إلى (القَمَرِ) عَلَى تَقْديرِ مُضافٍ، أيْ: وقَدَّرَ سَيْرَهُ، فَتَكونُ ﴿مَنَازِلَ﴾ مَنْصوبةً على الظَّرْفيَّةِ[1].

فإعادةُ الضَّمير على القمر وحدَه من إطلاق المفردِ على الاثنين. وعادتُهم يقولون: إنَّما خُصَّ التَّقديرُ بالقمر دونَ الشَّمس؛ فإنَّ منازلها تُعلمُ بالفصول علمًا ضروريًّا ظاهرًا، لأنَّ سيرَه في المنازل ظاهرٌ معلومٌ يدركُه كلُّ أحد ببصرِه[2] ويُلمحُ في وجود الضَّمير الإيجازُ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التَّوبة: 62][3].

بيانُ التَّعبيرِ بالمنازل لفظًا، وهيئةً:

إيـثـارُ المـنـازل اعْتِبارًا بحُلولِ القَمَرِ كُلَّ لَيْلَةٍ في سَمتِ مَنْزِلَةٍ

هذه المَنازِلُ أماراتُها أنْجُمٌ مُجْتَمِعَةٌ على شَكْلٍ لا يَخْتَلِفُ، فوَضَعَ العُلَماءُ السابقونَ لَها أسْماءَ، والعَربُ يَبْتَدِئونَ ذِكْرَها بالشَّرَطانِ وهكذا، وذلك باعْتِبارِ حُلولِ القَمَرِ كُلَّ لَيْلَةٍ في سَمتِ مَنْزِلَةٍ مِنْ هذه المَنازِلِ، فَأوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي الهِلالِ لَلشَّرَطانِ وهكذا.

وهذه أسْماؤُها في العَرَبيَّةِ على تَرْتيبِها في الطُّلوعِ عند الفَجْرِ مُرتَّبةً على حَسَبِ تَقْسيمِها على فُصولِ السَّنَةِ الشَّمسيَّةِ، وهي: العَواءُ، السِّماكُ الأعْزَلُ، الغَفْرُ، الزُّبانَى، الإكْليلُ، القَلْبُ، الشَّوْلَةُ، النَّعائِمُ، البَلْدَةُ، سَعْدُ الذابِحِ، سَعْدُ بُلَعٍ، سَعْدُ السُّعودِ، سَعْدُ الأخْبيَةِ، الفَرْغُ الأعْلَى، الفَرْغُ الأسْفَلُ، الحوتُ، الشَّرَطانُ، البُطَيْنُ، الثُّريا، الدَّبَرانُ، الهَقْعَةُ، الهَنْعَةُ، ذِراع الأسد، النّثرة، الطَّرْفُ، الجَبْهَةُ، الزُّبْرَةُ، الصَّرْفَةُ[4].

وهذه المنازل مُنقسمةٌ على البُروجِ الاثْنَيْ عَشَرَ الَّتي تَحِلُّ فيها الشَّمسُ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/336.
(3) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/26.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.

في فُصولِ السَّنَةِ، فَلِكُلِّ بُرْجٍ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ بُرْجًا مَنْزِلَتانِ وثُلُثٌ، وهذا ضابِطٌ لِمَعْرِفَةِ نُجومِها ولا عَلاقَةَ له باعْتِبارِها منازِلَ لِلْقَمَرِ(1).

بَلاغةُ المَجازِ في لفظِ (المنازل):

وَجْهُ المَجازِ فيها مشابهةُ المنازلِ كأنَّ القمرَ ينزلُ بها

إطْلاقُ اسْمِ المَنازِلِ عليها مَجازٌ بِالمُشابَهَةِ، وإنَّما هي سُموتٌ يَلوحُ لِلناسِ القَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ في سَمتٍ مِنْها، كَأنَّهُ يَنْزِلُ بِها.

وقد رَصَدَها البَشَرُ فَوَجَدوها لا تَخْتَلِفُ، وعَلِمَ المُهْتَدونَ مِنْهُم أنَّها ما وُجِدَتْ على ذلك النِّظامِ إلا بِصُنْعِ الخالِقِ الحَكيمِ(2).

دَلالةُ اللّامِ في ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾:

قـدّرَ المنـازلَ لنعلمَ دخولَ الأوقـاتِ وانْقضاءَها

معنى اللّام في قوله ﷻ: ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾ التَّعليلُ، أيْ: قَدَّرَ تعالى في عِلاه المَنازِلَ؛ لِنَعْلَمَ عددَ السِّنينَ: دُخولَها، وانْقِضاءَها(3).

بَلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ عنِ العلمِ:

الحثُّ على التَّعلُّمِ على الدَّوامِ واستفراغُ الجُهدِ فيه

العِلْمُ في كلامِ العَربِ إدْراكُ الأشْياءِ على ما هي عليه. والَّذينَ يَعْلَمونَ هُمُ الَّذينَ انْتَفَعوا بِدَلائِلِ الآياتِ، وهُمُ الَّذينَ آمَنوا بِاللهِ وحْدَهُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: 99](4)، والتّعبيرُ بالمضارعِ المُقدَّمِ بلامِ التّعليلِ حثٌّ على استمرارِ التّعلُّمِ، واستفراغِ الجُهدِ في الإفادةِ من هذا الجَعْلِ على الدّوامِ، من خلالِ العلْمِ بتقديراتِه.

دَلالةُ فاعلِ العلْمِ (واو) الجماعةِ:

حثَّ تعالى على أنْ يتعلَّمَ الجميعُ

ضَميرُ ﴿لِتَعْلَمُواْ﴾ عائِدٌ إلى المَفْعولِ المَحْذوفِ المُقَدَّرِ؛ لِأنَّ المُقَدَّرَ كالمَذْكورِ(5) ودلالةُ ضمير الرَّفعِ ههنا الحثُّ على تعلُّمِ الجميع، فالعلْمُ تحصينٌ ومجنَبَةٌ للوقوعِ في الخطأ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/95.
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/411.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/395.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/288.

إضافةُ العددِ إلى السِّنين:

تأكيدُ مدلولِ السِّنين وتَكثيرُ عددِها

ذِكْرُ لَفْظِ العَدَد مع السِّنين تَأْكيدٌ لِبَعْضِ مَدْلولِها[1]، والعددُ: مُسْتَعْمَلٌ في الكَثْرَةِ، أيْ: سِنينَ ذاتَ عددٍ كَثيرٍ، ونَظيرُهُ ما في حَديثِ بَدْءِ الوَحْيِ مِن قَوْلِ عائِشَةَ: «فَكانَ يَخْرُجُ إلى غارِ حِراءَ فَيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ»[2]، تُريدُ الكَثيرَةَ، وقد أُجْمِلَ العَدَدُ هُنا تَبَعًا لِإجْمالِ القِصَّةِ[3].

سِرُّ تقديمِ العددِ:

قدّمَ العددَ؛ لأنّه مبنى الحسابِ

قدَّمَ العددَ؛ لأنَّه هو المتقدِّمُ في الوضع؛ فوضعُ العددِ هو الأوّلُ، والأساسُ الَّذي يقعُ عليه الحسابُ، ويُبنى عليه الاحتسابُ بعد ذلك[4].

إيثارُ لفظِ السِّنين على غيرِه من ظروفِ الزَّمانِ:

اشتمالُ السِّنينَ على كلِّ ما دونَها من الظُّروفِ الزَّمنيَّةِ

يريد السِّنينَ والشّهورَ والأسابيعَ والأيّامَ، فاقتصر على ذكر السِّنينَ لاشتمالها عليها كلِّها[5]، أيْ: مِن غَيْرِ حاجَةٍ إلى حِسابٍ؛ لِأنَّ النَّيِّرَيْنِ يَدُلّان على تَحَوُّلِ الحَوْلِ بِمُجَرَّدِ تَنَقُّلِهما[6].

دَلالةُ الاستئنافِ في جملةِ ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾:

التَّنبيهُ على الحكمةِ من الجَعْلِ ليُستدلَّ على أنّ الخالقَ فاعلٌ مختارٌ حكيمٌ

جُملَةُ ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ كالنَّتيجَةِ لِلْجُملَةِ السابِقَةِ كُلِّها؛ لِأنَّهُ لَما أخْبَرَ تعالى بِأنَّهُ هو الَّذي جَعَلَ الشَّمس ضياءً والقَمَرَ نورًا، وذَكَرَ حِكْمَةَ بَعْضِ ذلك، أفْضَى إلى الغَرَضِ مِنْ ذِكْرِهِ؛ وهو التَّنْبيهُ إلى ما فيها مِنَ الحِكْمَةِ لِيَسْتَدِلَّ بذلك على أنَّ خالِقَهُما فاعِلٌ مُخْتارٌ حَكيمٌ لِيَسْتَفيقَ المُشْرِكونَ مِنْ غَفْلَتِهِم عنْ تلك الحِكَم، كما قال تعالى في هذه السُّورَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[7].

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/131.

(2) البخاريّ، الجامع الصّحيح، الحديث رقم: (3) واللّفظ له، ومسلم، الجامع الصّحيح، الحديث رقم: (160).

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/268.

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/336.

(5) الكِرمانيّ، غرائب التَّفسير وعجائب التّأويل: 1/474.

(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/385.

(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/96.

تَوجيهُ الفَصْل بـ ﴿مَا﴾ النّافية:

بيانُ وجْهِ الفصْلِ في أنَّهُ تعالى لَمّا قَرَّرَ هذه الدَّلائِلَ خَتَمَها بقوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، معناهُ أنَّهُ تعالى خَلَقَ ذلك الخَلْقَ والتّقديرَ على وَفْقِ الحِكْمَةِ ومُطابَقَةِ المَصْلَحَة.

النَّفْيُ بـ (ما) آكَدُ وهـو يـدلُّ على اسْتمرارِ النَّفْي

والنَّفْيُ بـ(ما) آكدُ من (لم)، وهي في الغالب لنفْيِ الماضي القريبِ منَ الحال، وقد تفيدُ استمرار النَّفي كما في الآية هنا، فخلقُ اللّه الشّمسَ، والقمرَ وتقديرَه منازلَ حقٌّ على الدّوام، لا يُقيّده زمنٌ أو حين، فضلًا عنِ الدِّلالة على أنَّ دخول (ما) على الماضي يدلّ على أنَّ الأمر قدِ انقضى، وتمّ، وتحقّق، وهذا المعنى مُرادٌ في الآية.

وَجْهُ التّعبيرِ عن فعلِ الخلْقِ بصيغةِ الماضي:

الـخـلْـقُ بـمـوجـوداتِـه الـسَّـمـاويـةِ والأرضـيَّـةِ مُتحقِّقُ الوقوعِ

وعبّر عن فعل الخلْقِ ماضيًا؛ للدّلالةِ على وقوع الخلْقِ بموجوداته وأجرامِه السَّماويةِ شمسًا، وقمرًا وسماءً، ومخلوقاتِه الأرضيَّةِ أرضًا، وجبالًا وسهولًا وبحارًا وأنهارًا وتحقُّقِه.

إظهارُ الفاعلِ (لفظِ الجلالة):

الاسـمُ الكريـمُ يَتَضَمَّنُ جميعَ صِفاتِ الكمالِ واللـه تعـالى لا يُسألُ عمّا يفعلُ

ووَقَعَ إظهارُ اسْمِ الجَلالَةِ في مَقامِ الإضْمارِ؛ لأنَّ اسْمَ الجَلالَة يومئ إلى مَقامِ الإطْلاقِ؛ وهوَ مقامُ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: 23]، ويومئ إلى أنَّ ذَلِكَ جَرَى على حَسَبِ الحِكْمَةِ؛ لأنَّ اسْمَ الجَلالَةِ يَتَضَمَّنُ جَميعَ صِفاتِ الكَمالِ[1].

وَجهُ التَّعبيرِ باسْمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

ردَّ الله تعالى ما ذَكـرَ إلى الخَلْقِ والتَّقديرِ

اسمُ الإشارة في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، يعود إلى المذكور من جعْلِ الشَّمسِ ضياءً والقمرِ نورًا وتقديرِه: ﴿مَنَازِلَ﴾[2]، ورَدَّ اللّه تعالى كلَّ ما ذَكَرَ إلى الخَلْقِ والتَّقْديرِ، ولَوْ رَدَّهُ إلى الأعْيانِ المَذْكورَةِ لَقال: (تلك)[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - أ/7.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 7/27.
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 4/122.

دَلالةُ الباءِ في ﴿بِٱلۡحَقِّۗ﴾:

تدلُّ الباء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ على الملابسة، أي: ما خلق الله ذلك الَّذي ذكره لكم إلّا خَلقًا مُلتبسًا بالحقِّ، ومُقترنًا بالحكمة البالغةِ الَّتي تقتضيها مصالحُكم[1].

الخلْقُ مقترنٌ بالحكمةِ، مُلتَبسٌ بالحقّ

سِرُّ تعريفِ ﴿بِٱلۡحَقِّۗ﴾:

الحقُّ هو الشّيءُ الثّابتُ الّذي لا يتغيّرُ، وتعريفُه ها هنا يدلُّ على التَّخصيص والتَّعيين لمسألة تناولَتْها هذه الآيةُ القرآنيَّة، والحقُّ هُنا مُقابِلٌ لِلْباطِلِ. فهو بمعنى الحِكْمَةِ والفائدَةِ؛ لِأنَّ الباطِل من إطلاقاتِها أنْ يُطلقَ على البَعْث وانْتفاءِ الحِكْمَةِ، فكذلك الحَقُّ يُطْلَقُ على مُقابِلِ ذلك. وفي هذا رَدٌّ على المُشْرِكينَ الَّذينَ لم يَهْتَدوا لِما في ذلك مِنَ الحِكْمَةِ الدالَّةِ على الوَحْدانيَّةِ وأنَّ الخالِقَ لَها لَيْسَ آلِهَتَهُم[2]؛ فالمرادُ بالحقّ هنا خلافُ الباطلِ والعبثِ[3].

تخصيصُ الحقِّ يُـراد بـه خـلافُ الباطلِ والعَبثِ

بَلاغةُ الاستثناءِ المفرّغِ:

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾، أي: ما ذُكرَ منَ الشَّمس والقمر على ما حكى سُبحانه منَ الأحوال إلا بِالحَقِّ، استثناءً من أعمِّ أحوالِ الفاعلِ والمفعول، أي: ما خلق ذلك مُلتبسًا بشيءٍ منَ الأشياء إلا ملتبِسًا بالحقِّ مُراعيًا فيه الحكمة والمصلحة[4]، والقصرُ بـ(النّفي والاستثناء)؛ لغاية تمكينِ الكلامِ وتقريرِه في الذّهن، والمبالغةِ في المعنى[5].

القَصْر لتمكينِ الكلامِ وتقريرِه في الذّهن

بَلاغةُ الجملةِ الاستئنافيّةِ الابتدائيّةِ ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾:

قولُه تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ؛ لبيان

بـيـانُ خـلْـقِ الله في الآيـاتِ التَّكـوينـيّةِ أوِ التَّنزيليّةِ المنبّهةِ على الحكمةِ في إبداعِ الكائناتِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/96.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/96.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/68.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/68.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 17/209.

خلْقِ اللّه تعالى، على معنى: يُفَصِّلُ اللّه الآياتِ: أي: الآياتِ التَّكوينيّةَ المذكورةَ، أو الأعمَّ منها، ويدخل المذكورُ دخولًا أوليًّا، أو نفصّلُ الآياتِ التَّنزيليّةَ المنبّهةَ على الحكمة في إبداع الكائناتِ؛ فيستدلّون بذلك على شؤون مُبدعِها ﷻ، أو يعلمون ما في تضاعيفِ الآياتِ المُنزَّلة؛ فيؤمنون بها[1].

وَجهُ التَّعبيرِ عنِ التّفصيلِ بالمضارع المشدَّدِ:

عبّرَ بالفعْلِ المُضارعِ ﴿يُفَصِّلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾؛ لإفادَةِ التَّكْرارِ[2] والاستمرارِ على تفصيل الآيات وبيانِها بإحداثِ بعضِها عَقيبَ بعضٍ على سبيل التَّمييزِ والتَّفصيلِ[3].

الاستمرارُ في إحداثِ الآياتِ بعضِها عَقيبَ بعضٍ

بَلاغةُ الالتفاتِ في قراءةِ ﴿نُفَصِّلُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ على قِراءَةِ غيرِ ابن كثير، والبصريّين وحفصٍ عن عاصمٍ ﴿نُفَصِّلُ﴾ بنون العظمة، في ضَميرِ صاحِبِ الحالِ التِفاتٌ[4] من حيث الانتقالُ من حالٍ إلى حالٍ، وقراءةِ ابن كثير، والبصريّين وحفص" ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ بالياء فهو إخبارٌ عن فعل اللّه، ومَنْ قَرَأ بالنّون فهو فعلُه ﷻ"[5]، فلمّا كان الكلامُ على مظاهر قدرتِه، وبديعِ صَنعتِه في جَعْلِ الشَّمس والقمر، واتِّباع الآيات الدّالّةِ على ذلك عَدَل إلى صيغة التَّعظيمِ بنون العظمة: ﴿نُفَصِّلُ﴾ المناسبِ لسياق عِظَمِ الحَدَث.

العُدولُ إلى صيغةِ التَّعظيمِ في الالتفاتِ ليُناسبَ سياقَ عِظَمِ الحَدَثِ

دَلالةُ تعريفِ الآيات، وجمعِها جمعَ مؤنّثٍ سالماً:

التَّعْريفُ في الآياتِ تَعْريفُ الجِنْسِ وجاء لِلاسْتِغْراقِ، والمُرادُ بالآياتِ القُرْآنُ فَإنَّ ما يَقَعُ فيهِ إجْمالٌ مِنْها يُبَيَّنُ بِآياتٍ أُخْرَى[6]،

استغراقُ جميعِ الآياتِ المنزَّلة وتعدُّدها وتنوُّعها

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3518.
(2) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/282، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/96.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/527.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.
(5) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/39.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/97.

وجَمعُ الآياتِ هُنا مُراعًى فيهِ تَعَدُّدُها وتَعَدُّدُ أنْواعِها، وفي بَلاغَةِ نَظْمِها وفَصاحَتِها مِنَ الإعْجازِ ما هو دَليلٌ على أنَّ هذا الكلامَ مِنْ صُنْعِ اللّه ألْقاهُ إلى رَسولِهِ ﷺ مُعْجِزَةً له على قَوْمِهِ أهْلِ الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ[1].

معنَى اللّامِ في لفظةِ ﴿لِقَوْمٍ﴾:

خصّصَ الآياتِ بالقومِ الّذين يعلمون

اللامُ في قوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه شِبْهُ التَّمليكِ؛ وهو معنى أثْبَتَهُ صاحِبُ (مُغْني اللَّبيبِ)، ويَظْهَرُ أنَّهُ واسِطَةٌ بَيْنَ معنَى التَّمليكِ ومعنَى التَّعْليلِ. ومَثَّلَهُ في (المُغْني) [2] بقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّحل: 72] وذُكِرَ في المعنَى العِشْرينَ من مَعاني اللام أنَّ ابْنَ مالِكٍ في كافيَتِهِ سمّاهُ لامَ التَّعْديَةِ؛ ولَعَلَّهُ يُريدُ تَعْديَةً خاصَّةً، ومَثَّلَهُ بقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: 5][3]. فالآياتُ مخصّصةٌ لقومٍ يستدلّون بالأمارات على قدرته[4].

دَلالةُ تنكيرِ القومِ، وتنوينِها:

تَعظيمُ اللهِ العِلمَ وأهلَه والاتِّصافَ به

تنكيرُ ﴿لِقَوْمٍ﴾ إمّا تعظيمًا لوصْفِ العِلْمِ، أو ليفيدَ عمومَ تعلُّقِ العلمِ بكلٍّ من اتصف بصفاتِهم؛ لأنَّ تعليقَ الحُكمِ على الوصفِ المناسبِ في النَّكرة يفيدُ قوّةَ الشّعورِ بما به ذلك الوصْفُ للحكم أكثرَ من إفادته له في المعرفة[5]، والنّون عِوضٌ من تنوين المُفرد.

إيثارُ لفظِ القوم على غيرِه:

الإيماءُ إلى أنَّ وصْفَ العلمِ سَجيَّةٌ في هؤلاء القومِ

ذُكر لفظُ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ دونَ أنْ يُقالَ: (لِلَّذينَ يَعْلَمونَ أوْ لِلْعالمينَ)؛ لأنَّ إجْراءَ الوصْفِ على لَفْظِ ﴿لِقَوْمٍ﴾ يومِئُ إلى أنَّ ذلك الوصْفَ سَجيَّةٌ فيهِم، ومِنْ مُكَمِّلاتِ قَوْميَّتِهِم، فَإنَّ لِلْقَبائِلِ والأُمَمِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/218 - 219.
(2) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 375.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/72.
(4) ابن الجوزيّ، زاد المَسير: 2/318.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/69.

خَصائِصَ تُمَيِّزُها وتَشْتَهِرُ بها كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التّوبة: 56]، وقد تَكَرَّرَ هذا في مواضِعَ كثيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ ومِنْ كلامِ العَرَبِ، فالمعنَى أنَّ في ذلك آياتٍ لِلَّذينَ سَجيَّتُهُمُ العِلمُ[1].

سِرُّ الختامِ بلفظِ ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

العلماءُ همُ المنتفعون بالأدِلَّةِ والبَراهينِ

وَجُعِلَ التَّفْصيلُ لأجْلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّ العُلَماءَ أهْلَ العُقولِ الراجِحَةِ هُم أهْلُ الانْتِفاعِ بالأدِلَّةِ والبَراهينِ[2] المُستنبَطون منها الأحكامَ والقوانينَ.

دَلالةُ صيغةِ المضارعيّةِ في ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

رُسوخُ العلْمِ في تجدُّدِه، وتكرارِه

الإتيانُ بالفعلِ المُضارِعِ لإفادةِ التّكرارِ وتجدُّدِ العِلم؛ وإنّما يتجدّدُ لِمن هو ديدنُهُ ودأبُهُ، فأورِد هذا الوصفُ لأهله على سبيلِ التّجدُّدِ والاستمرارِ؛ ولمّا كانت لهُمُ المعرفةُ التّامّةُ والنّظرُ الثّاقِبُ في منازِلِ القمرِ عُدّت مِن الجليِّ[3].

بلاغةُ التّعريضِ في جملةِ الفاصلةِ:

غيرُ المنتفِعين بتفصيلِ الآياتِ ليسوا مِن الّذين يعلمون

إنّ ذِكر لفظِ (قوم) إيماء إلى أنّهُم رسخ فيهِم وصفُ العِلم، فكان مِن مُقوِّماتِ قوميّتِهم. وفي هذا تعريض بأنّ الذين لم ينتفِعوا بتفصيلِ الآياتِ ليسوا مِن الذين يعلمون، ولا مِمّن رسخ فيهمُ العلمُ[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الضِّياءُ والنّورُ:

يتردَّد الضِّياءُ والنّورُ، مع وجودِ القدرِ المشتَرَكِ، باعتبارِ الذّاتيَّةِ واللُّزوميَّةِ

إنَّ الضّياءَ ما يتخلَّلُ الهواءَ من أجزاءِ النّورِ فيبيَضُّ بذلك، والشّاهدُ أنّهم يقولون: ضياءُ النَّهار، ولا يقولون: نورُ النَّهار إلا أن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/89.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/97.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/76، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/97.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/97.

يَعنوا الشَّمسَ؛ فالنّورُ الجملةُ الَّتي يَتشعَّبُ منها، والضَّوءُ مصدرُ ضاء يَضوء ضوءٌ. يُقال: ضاء وأضاء، أي: ضاء هو وأضاءَ غَيرَهُ[1].

وقد يُفرَّقُ بينهما بأنَّ الضَّوءَ: ما كان من ذاتِ الشَّيءِ المُضيء، والنّورُ: ما كان مُستَفادًا من غيره[2] وعليه جرى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءَ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾، ويذكرُ الرّاغبُ بأنَّ النّورَ هو الضَّوءُ المنتشرُ الَّذي يُعينُ على الإبصار[3].

ويرى الزمخشريُّ أنَّ النّور ضوءُ النَّهار وضوء كلِّ شيء، وهو نقيض الظُّلمة، والضّياءُ إفراطُ الإنارة، فالنّورُ عنده زيادةٌ في الضّياء. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءَ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ ويُقدّرُ بأنّ الضّياء هنا مُثبَتٌ، وأنّ النّورَ مَنفيٌّ[4].

كما أنَّ الضَّوء يُستعملُ في مجال التَّأثير في الغَيْر، في حين أنّ النّور عامٌّ؛ سواء كان نورُ الشَّيء ذاتيًّا أو عَرَضيًّا منَ الغير، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءَ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾، وفيه إشارةٌ للفرقِ بين الضّياء والنّور (الشَّمسُ مضيئةٌ، والقمرُ اكتسب نورَه منَ الشَّمس)، وكذلك يؤيّدُ هذا قولُه سُبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة: 17]، يعني: أثرَ تلك النّار بواسطةٍ وبدون واسطةٍ أذهبتْها الرّيح، ولم يبقَ منهم أثرٌ[5].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 332.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 332.
(3) الراغب، المفردات: (نور).
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/157.
(5) التّهانويّ، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/1110.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»